الثقافة الآشولية في شبه الجزيرة العربية

د. أحمد دياب*

الملخص

هَدَفَ هذا البحث إلى التعريف بالثقافة الآشولية في شبه الجزيرة العربية، وأن نبين أهم مواقعها، والتعريف بأطوارها واقتراح تأريخ لكل طور من أطوارها، وذلك بمقارنة الصفات النمطية والتقنية للفؤوس اليدوية بنظيراتها في مواقع بلاد الشام التي تتصل مع شبه الجزيرة العربية جغرافيًا.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار.

The Acheuleene Culture in the Arabian Peninsula

Dr. Ahmad Diyab[**]

Abstract

This article introduces the Acheuleene culture in the Arabian Peninsula, to identify its most important sites, to define its Periods and to propose a date for each of the Periods by comparing the typical and technical characteristics of the hand axes with their counterparts in the Levant sites, which relate to the Arabian Peninsula geographically .

[**] Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Department of Archeology.

استخدمت تسمية الآشولية Acheuleene أول مرة من قبل مورتييه Mortillet الذي اكتشف أدوات حجرية في موقع سانت آشول Saint Acheul في حوض نهر السوم La Somme في فرنسا عام1872، وتسمى هذه الأدوات ذات الوجهين Biface أو الفؤوس اليدوية Handax[1]. عاش خلالها الإنسان المنتصب القامة (الهوموراكتوس Homo-Erectus) الذي انتشر في مناطق مختلفة من العالم من بينها شبه الجزيرة العربية.[2]

استخدمت لفظة الآشولية للدلالة على نوعية محددة من الأدوات الحجرية وهي الفؤوس اليدوية وأصبحت هذه الأدوات تشكل الفارق الوحيد بين جماعات معينة من الإنسان منتصب القامة التي تنتمي للثقافة الآشولية واستخدمت الفؤوس اليدوية، وجماعات أخرى من الإنسان منتصب القامة التي لم تستخدم الفؤوس اليدوية ولم تنسب للثقافة الآشولية، ولم تنسب مواقع كثيرة في العالم–مع أهميتها– إلى الثقافة الآشولية لخلوها من الفؤوس اليدوية كموقع شوكوتين في الصين وداماناسي في جورجيا مع أنَّ الإنسان منتصب القامة سكن فيها[3].

تاريخ البحث في آثار عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية

بدأ الاهتمام بآثار عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية في مدة بين الحربين العالميتين في القرن العشرين، وجرت بعض الحملات الاستكشافية التي كانت ذات طابع فردي في معظمها؛ فقد أشار هنري فيلد Field.Henrry إلى احتمال وجود حضارات عصور ما قبل التاريخ على إثر بعض الحملات الاستكشافية التي جرت في شرقي الأردن وشمال غرب شبه الجزيرة العربية خلال الأعوام 1928/1927، كما عثر فلبي Philby, J في شرق شبه الجزيرة العربية في عام 1931 على أدوات حجرية مصنعة نسبها لعصور ما قبل التاريخ[4]، كما أفادت المعلومات المستقاة من بعثة فروبينيس Frobenius وفريقه العلمي في منطقة كلوة بجبل طويق عام 1934 في العثور على أدوات حجرية مصنعة متنوعة تغطي مراحل مختلفة من عصور ما قبل التاريخ مثل الثقافة الآشولية والموستيرية[5].

كما ظهرت إشارات متفرقة من أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية تشير إلى وجود نشاط بشري يؤرخ على عصور ما قبل التاريخ؛ فقد عثر كونورد Conard على أدوات حجرية مصنعة في منطقة نجد في أثناء قيامه برحلة استكشافية في العامين1940–1941، شملت البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.[6] الخارطة(4).

[1]– بياتريكس ميدان، رينيس: 2001، ص: 47.
[2]– المحيسن، مجاهد: 1993، ص: 153.
[3]– محيسن، سلطان: 2004/2003، ص: 103–104.
[4]– سيد أحمد، عباس؛ وعلي، محمد: 1421هـ ، ص: 90.
[5]– عبد النعيم، محمد: 1995، ص: 116.
[6]– سيد علي، عباس: 1421هـ، ص: 90.

ازدادت عمليات المسح الأثرية بعد الحرب العالمية الثانية لمناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، لكنها لم تكن على الوتيرة نفسها التي شهدتها بلاد الشرق الأدنى في هذه المرحلة، إذ أثبتت البعثة الدنماركية التي نقبت في وادي حضرموت في اليمن أن المنطقة كانت مأهولة خلال العصر الحجري القديم[1]. تلا ذلك قيام بعثة دنماركية أخرى بقيادة غلوب Glop. P 1953– 1954 بمسح أولي في البحرين عثر خلاله على مواقع عدّة تعود إلى مراحل مختلفة من عصور ما قبل التاريخ، وتواصلت أعمال هذه البعثة على الساحل الغربي للخليج العربي عدّة مواسم في كل من الكويت وقطر، التي أصدرت دراسة مفصلة عن أعمالها، قامت حكومة قطر بترجمته إلى العربية في عام 1999 بعنوان (صفحات عن ما قبل التاريخ في قطر)[2]. وقامت بعثة فرنسية في قطر أيضًا بإدارة جاك تكسيية Tixier. J بمواسم مسح في 1977/1976 و1978/1977، كشف العديد من المواقع مثل موقع الخور، الذي نقبت البعثة على مدى موسمين اكتشف خلالها عددًا من الأدوات ثنائية الأوجه[3].

وتتابعت الأعمال الفردية في محاولة الكشف عن آثار عصور ما قبل التاريخ، منها ما عثر عليه هنري فيلد في مواقع مختلفة من منطقة حفر الباطن، كما عثر F.J.Edward 1960 على أول المواقع التي تعود لعصور ما قبل التاريخ في موقع قوينصة أبي عديان بالربع الخالي، وجمع المئات من الأدوات الحجرية المصنعة من هذه المنطقة.[4]

وكان لشركة النفط السعودية (أرامكو) دورًا في الكشف عن مواقع عصور ما قبل التاريخ؛ إذ عثرت عام 1961 في منطقة شرورة بالقرب من الحدود السعودية– اليمنية على كميات متفرقة من الأدوات الحجرية المصنعة من الكوارتزيت والصوان.[5]

بدأت إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية بدءًا من 1972 بمشروع مسح كامل لأراضي المملكة العربية السعودية جميعها، تمخض عن هذا المشروع المهم اكتشاف العشرات بل المئات من المواقع العائدة لعصور ما قبل التاريخ، أدت إلى تسليط الضوء بشكل أفضل من السابق على عصور ما قبل التاريخ في شبه الجزيرة العربية، نشرت نتائج المسح في مجلة أطلال (حولية الآثار السعودية)، التي نشرت هذه النتائج على شكل تقارير أثرية بدءًا من عددها الأول الصادر عن إدارة الآثار السعودية عام 1977.

---

[1]– لويز إينيزان، ماري: 1999، ص: 22 .

[2]– بحوث قام بها مجموعة من علماء الآثار الدانماكيين بين 1956-1965، نقلها إلى العربية د. درويش مصطفى الفار، الدوحة، 1996.

[3]- Inizan. M. L: 1980, P: 51-70.

[4]– عبد النعيم، محمد: 1995، ص: 118.

[5]– عبد النعيم، محمد: 1995، ص: 118–119.

قُسمت المملكة العربية السعودية في أثناء المسح إلى مناطق محددة أُعطِيَ لكل منها رقم معين ومن ثَمَّ أصبح للمواقع المكتشفة أرقام تتبع أرقام المناطق . وأودعت عشرات الآلاف من الأدوات الحجرية المصنعة الملتقطة خلال حملات المسح في مخازن المتحف الوطني في الرياض، وكان من بين أهم المواقع المكتشفة موقع الشويحطية[1]، وصفاقة[2]، ومواقع نجران[3].

ولابدَّ من الإشارة إلى أن هذا النشاط لم يقتصر على المملكة العربية السعودية فقط، بل امتد إلى دول الخليج المجاورة؛ ففي عام 1973 نشرت البعثة الأمريكية نتائج استكشافها في عُمان التي ضمت مواقع عدّة تعود للعصر الحجري القديم.[4] كما قامت بعثة من المركز الوطني للبحوث في فرنسا بحملة مسح عن مواقع ما قبل التاريخ في عام 1974، شملت مناطق عدّة في اليمن مثل صنعاء، ومأرب، وسادا، وتهامة أدت إلى كشف مواقع أثرية تعود للعصر الحجري القديم والحديث.[5]

كما قامت بعثة سوفيتية– يمنية مشتركة بإدارة أمير خانوف بمسح أثري في وادي حضرموت وساحل خليج عدن خلال الأعوام 1983–1990، عثرت البعثة خلالها على مواقع عدّة كان من بينها كهف القُزة الواقع على رافد من روافد الجانب الأيمن لوادي حضرموت يعود سكنه إلى ما قبل مليون سنة.[6]

وكانت شبه الجزيرة العربية مثار اهتمام العديد من البعثات الأثرية الأجنبية، التي جابت اليمن وعُمان، مثل بعثة نورمان Norman. M. Whalen الذي قام بمشاريع مسح في اليمن وعمان وخاصة ما قام به في جبل قارة في عمان، ويتركز بحثه عن المواقع ما قبل الآشولية والآشولية[7]، كما قامت بعثة فرنسية ايطالية مشتركة بمسح أثري للشاطئ العماني 1998/1997 اكتشفت خلاله مواقع سطحية Surface كان من بينها مواقع عائدة للعصر الحجري القديم.[8]

هذا ومع أهمية الأعمال الأثرية السابقة فإن نتائجها لم تساعد في وضع تسلسلٍ واضحٍ لأطوار الثقافة الآشولية في شبه الجزيرة العربية على غرار بلاد الشام، وحاولنا بما هوَ متوافر من معلومات أن نضع تسلسلًا للثقافة الآشولية في شبه الجزيرة العربية،

---

[1]- Whalen. N: 1989, P: 94.95.

[2] - Juris. Z; Whalen. N: 1980, P: 12 .

[3]- Juris. Z: 2001, P: 14.

[4]– سيد أحمد، عباس؛ وعلي، محمد: 1421هـ. ص: 91.

[5]- R. De. Bayle des Hermens: 1976, P: 5-38 .

[6]– لويز إينيزان، ماري: 1999، ص: 22.

[7]- Whalen. N; and Zoboros. M: 2002, P: 27-33.

[8] -Donatella. U. S: 2000, P: 1-7.

وأن نقترح تأريخًا لكل طور؛ وذلك بناء على مقارنة الصفات النمطية والتقنية للفؤوس اليدوية المكتشفة في المواقع المنتشرة في شبه الجزيرة العربية مع نظيراتها في بلاد الشام.

تقسم الثقافة الآشولية إلى أطوار عدّة (قديم، وأوسط، وحديث، وحديث متطور، ونهائي) وتتوافق [إلى حد كبير] مع تقسيمات العصر الحجري القديم الأدنى Lower Paleolithic في بلاد الشام، وقد شكلت الصفات النمطية والتقنية للفؤوس اليدوية الأساس الذي اعتمد عليه في هذه التقسيمات.[1] جاءت هذه التقسيمات بناء على الدراسات الأثرية التي أُجرِيَت في مناطق مختلفة من بلاد الشام.

1 – الطور الآشولي القديم:

إن المواقع التي تعود إلى الطور الآشولي القديم قليلة بشكل عام في شبه الجزيرة العربية وأغلبها مواقع سطحية surface عثر عليها في أثناء عمليات المسح الأثرية التي جرت في مناطق مختلفة.

جاءت الإشارة إلى الطور الآشولي القديم في وقت مبكر من القرن العشرين خلال أعمال المسح في المنطقة الشرقية بالقرب من الظهران[2]. عندما عثر فلبي Philby, J في في شرق شبه الجزيرة العربية في عام 1931 على أدوات حجرية مصنعة نسبها لعصور ما قبل التاريخ، كان من بينها فؤوس يدوية نسبت فيما بعد إلى الطور الآشولي القديم.[3]

كما أشير إلى وجود الطور الآشولي القديم في سكاكا شمال غرب المملكة العربية السعودية حيث عثر على عدد من الفؤوس اليدوية البدائية الشكل، وبعض الشظايا السميكة المنتشرة على السطح عام 1977، واقترح تأريخًا لهذه الأدوات أنّها تعود إلى ما قبل 200 ألف سنة من الآن.[4]

وعثر أمير خانوف Amirkhanov على الطور الآشولي القديم في موقعين بالقرب من عدن في اليمن في أثناء المسح الأثري الذي قامت به البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة 1983– 1990 إذ عثر في موقعي دجيل تالا 1و 2 على فؤوس يدوية بدائية الشكل ذات أشكال مختلفة مصنعة على نوى مع عدد من القواطع Choppers.[5]

كما أشير إلى وجود الآشولي المبكر في جبل ظفار في سلطنة عُمان في أثناء المسح الأثري الذي قام حبه نورمان والن Norman Whalen إذ عثر على 47 موقعًا، نسبت إلى الثقافة الآشولية، جُمعت فيها 1502 أداة كان من بينها أدوات تعود إلى

---

[1]– Hours. F: 1981, P: 106.

[2]– يوسف، أمين: 2003، ص: 15.

[3]– سيد أحمد، عباس؛ وعلي، محمد: 1421هـ، ص: 90.

[4]– سيد أحمد، عباس؛ وعلي، محمد:1421هـ، ص: 90.

[5]- Amirkhanov .H :1994, P: 219.

الطور الآشولي المبكر شكلت القواطع Choppers النسبة الكبرى بين الأدوات، تليها الفؤوس اليدوية البدائية الشكل إلى جانب الأدوات السميكة كالمقاحف.[1] الشكل (1).

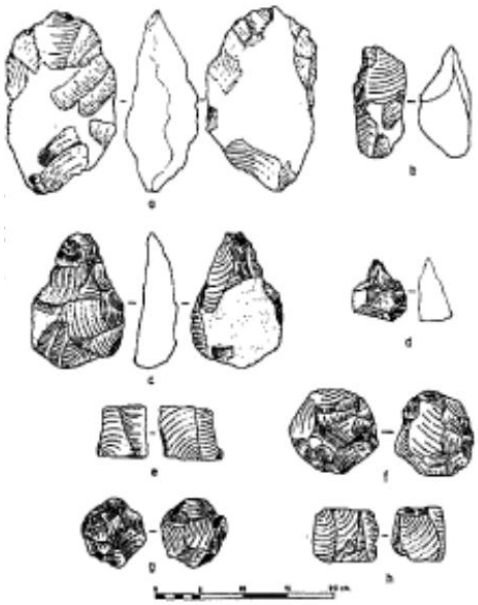

الشكل (1): أدوات آشولي مبكر من مواقع ظفار في عمان.[2]

تتشابه الأدوات الحجرية التي عثر عليها في المواقع السابقة مع الأدوات الحجرية التي عثر عليها في مواقع بلاد الشام التي تعود إلى الطور الآشولي القديم ولاسيَّما موقعي ست مرخو الواقع في حوض نهر الكبير الشمالي شمال غرب سورية، وموقع العبيدية على ضفة بحيرة طبرية في فلسطين، ويتجلى التشابه من حيث نمطية تصنيع الأدوات الحجرية ونسب وجود كل نوع من أنواع الأدوات الحجرية، إذ عثر فيهما على القواطع Chopper التي تأتي في المقدمة من حيث نسبة وجودها، تليها الفؤوس اليدوية بدائية الشكل والتصنيع، التي صنعت بالمطرقة الحجرية وبالطرق المباشر إلى جانب الشظايا والنوى، وجرت عملية تأريخ لموقع ست مرخو بنحو مليون سنة، وهو أقدم تأريخ معروف في بلاد الشام لأدوات الطور الآشولي القديم.[3]

1- Whalen. N; et all: 2002, P: 30.
2- Whalen. N; et all: 2002, P: 30.
3- Bar- Yosef: 1980, P: 106.

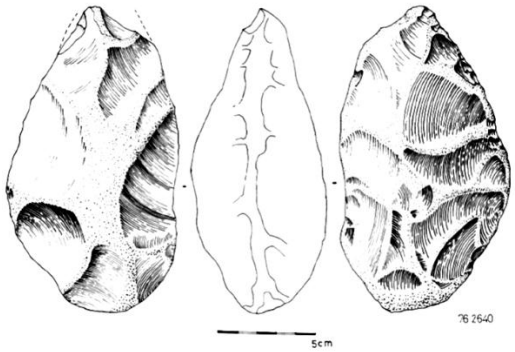

الشكل (2): فؤوس يدوية بدائية من موقع ست مرخو[1]

لم تجرِ عملية تأريخ في مواقع شبه الجزيرة العربية مبنية على تنقيبات أثرية منهجية، وما ورد كلّه عن هذه المواقع هو وصف للأدوات، ونسبتها لهذا الطور؛ وهي مواقع سطحية Surface. وجاءت إشارة من مواقع عمان عندما ذكر نورمان والن أنَّ الأدوات التي تعود إلى الثقافة الآشولية في مواقع جبال ظفار يراوح تأريخها بين 500 إلى مليون سنة؛ وذلك بناء على نمطية تصنيع الفؤوس اليدوية[2].

إن مواقع بلاد الشام هي الأقرب جغرافيًا إلى مواقع شبه الجزيرة العربية، ولا يوجد أي عائق جغرافي يفصل الإقليمين (شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام)، كما تتشابه نسب وجود الأدوات من فؤوس يدوية وقواطع بين مواقع المنطقتين خلال هذا الطور، وكذلك نمطية تصنيع الأدوات. لذلك نقترح تأريخًا لمواقع هذا الطور في شبه الجزيرة العربية بين مليون و700 ألف سنة، وهو تأريخ مواقع بلاد الشام.

2 – الطور الآشولي الأوسط:

يعدُّ الطور الآشولي الأوسط أوضح من الطور الآشولي القديم لكثافة الأدوات الحجرية المكتشفة في مواقع شبه الجزيرة العربية، إذ عثر عليه في اليمن في أثناء مسح أمير خانوف Amirkhanov السابق الذكر، وكذلك عثرت بعثة أمريكية بإدارة نورمان والنNorman Whalen على عدد من المواقع بالقرب من خليج عدن في أثناء المسح الأثري الذي أجرته البعثة عام 1992[3]، وكان بين الأدوات الحجرية المكتشفة فؤوس يدوية رمحية الشكل متطاولة نسبت إلى الطور الآشولي الأوسط؛ الشكل(3).

1- Hours. F; Copeland. L: 1978, P: 16

2- Whalen, N; et all: 2002, P: 30.

3- Whalen. N; Schatte. K: 1997, P: 5-6.

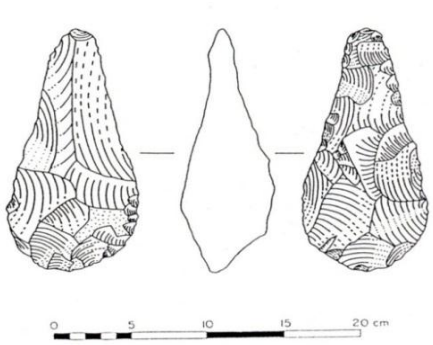

الشكل (3): فؤوس يدوية متطاولة من اليمن[1]

لكن أهم الاكتشافات التي تعود إلى الطور الآشولي الأوسط جاءت من مواقع صفاقة/الدوادمي في نجد وسط السعودية، ومن مواقع وادي فاطمة بالقرب من جدة على البحر الأحمر غرب السعودية.

أ – مواقع صفاقة/الدوادمي:

اكتشفت مواقع صفاقة/الدوادمي خلال حملة المسح الأثري التي قامت بها وكالة الآثار السعودية في المنطقتين الوسطى والجنوبية الغربية عام 1979[2]. الواقعة إلى الجنوب من مدينة الدوادمي بنحو 17كم، على مسافة ثلاثة كيلومترات جنوب غرب قرية صغيرة تدعى صفاقة، الخارطة(1)[3]؛ وتبينت أهمية مواقع صفاقة/الدوادمي بعد العثور عام 1979 في أثناء عملية المسح الأثري على عينة كبيرة من الأدوات الحجرية بلغ عددها 3235 أداة، بعد أن أجريَت مربعات اختبارية، دفعت إلى القيام بالتنقيب في موقعين هما 76/206، و68/206، في موسمي 1982 و1983، جمعت خلال عمليات التنقيب في الموسمين وفي كلا الموقعين3840 أداة حجرية؛ و3164 أداة من الموقع 76/206 و676 أداة من الموقع 68/206؛ علمًا أن الموقعين المذكورين يقع كل منهما عند مجرى شلال قادم من الجبل مما أحدث خلطًا للطبقات الأثرية، إذ لم يذكر في المربعات الاختبارية أي طبقات أثرية، أو جيولوجية واضحة يمكن تمييزها، وإنَّما عثر على أدوات حجرية مختلطة مع بعضها من دون أي ترتيب، ومما عزز هذا الطرح هو العثور على أدوات موستيرية أسفل الأدوات الآشولية، لذلك نحن أمام أدوات حجرية ليست في مكانها الأصلي. ومن ثمَّ فإنَّ أي عملية تأريخ تعتمد على الطبقات الأثرية لا يمكن الركون إليها[4].

1- Whalen. N; Schatte. K: 1997, P: 6.

2- Zarins. J; et all: 1980, P: 11.

3- Zarins. J; et all: 1980; P: 10.

4- دياب، أحمد: 2005، ص: 182-181.

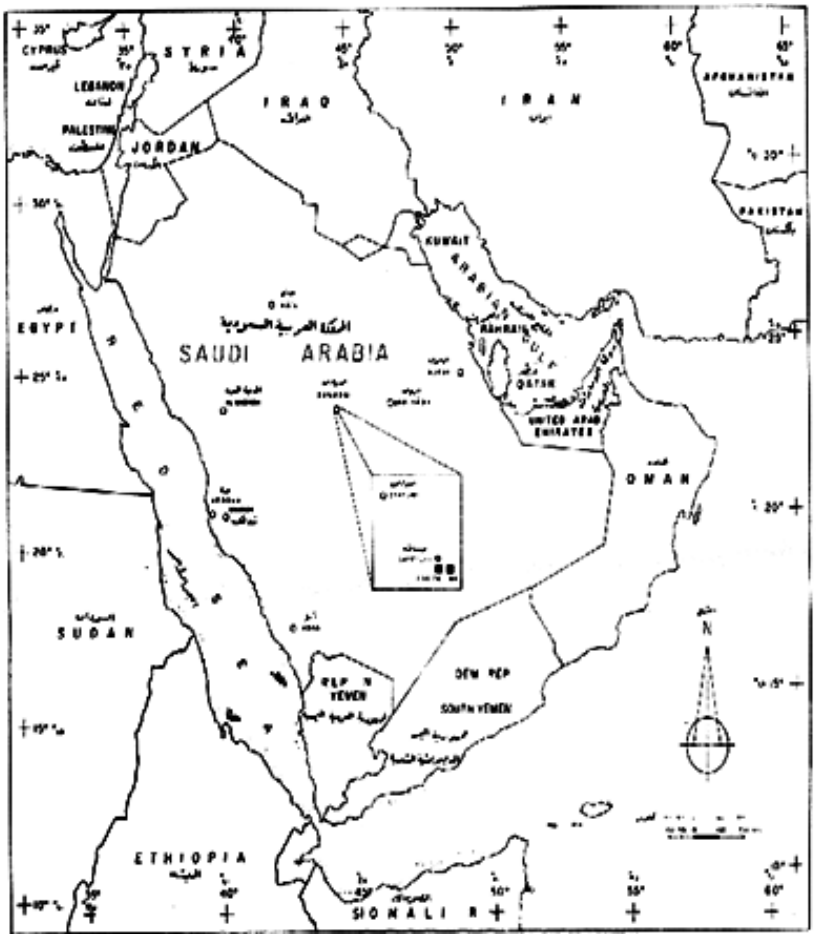

الخارطة (1): مواقع صفاقة /الدوادمي.[1]

أفرزت مواقع صفاقة/الدوادمي من بين الأدوات فؤوسًا يدوية ذات حافات متعرجة قليلًا واستُخدِمَت المطرقة الحجرية في تصنيعها، فضلًا عن أنَّها متطاولة ذات شكل رمحي، وبعض منها مدبب. وتميل الفؤوس اليدوية إلى كبر الحجم، نسبت هذه الفؤوس إلى الطور الآشولي الأوسط. الصورة (1).

[1]- Whalen. N: 1984, P: 1.

الصورة (1): فأس يدوي متطاول من مواقع الدوادميّ.[1]

ب – مواقع وادي فاطمة:

يبدأ وادي فاطمة من جبال الدرع العربي شمال مكة المكرمة باتجاه الجنوب الغربي نحو سهل تهامة الساحلي بمحاذاة البحر الأحمر جنوب غربي مدينة جدة السعودية، ويبلغ عرض وادي فاطمة نحو ثمانية كيلو مترات، شمل المسح مناطق من الوادي عام 1986 جنوب غرب مدينة جدة عند مصب الوادي، الخارطة (2)، اكتشف خلال المسح اثنان وأربعون موقعًا عثر فيها على أكثر من ألفي أداة حجرية، كان من بينها فؤوس يدوية وأدوات أخرى موستيرية.

إن الشكل الغالب بين الفؤوس اليدوية المكتشفة هو الشكل المتطاول المدبب ذو الحافات غير المتناظرة تمامًا المصنوعة بتقنية الطرق المباشر بواسطة المطرقة الحجرية التي خلفت ندبات واضحة على جسم الأداة، ونسبت هذه الفؤوس إلى الطور الآشولي الأوسط، كما اكتشف إلى جانب هذه الفؤوس أدوات صُنعت بالتقنية اللفلوازية التي ظهرت بوادرها مع هذا الطور من الثقافة الآشولية، إلى جانب استمرار وجود أدوات متعددة السطوح وثلاثية السطوح.

أُجرِيَ سبران اختباريان في مواقع وادي فاطمة، وقد جرت عملية تأريخ للكلس المتحجر على الأدوات بنحو 200 ألف سنة. وهو التأريخ نفسه الذي أُعطِيَ لمواقع الدوادمي التي تعود إلى الطور الآشولي الأوسط.

[1]– دياب، أحمد: 2005، ص: 195.

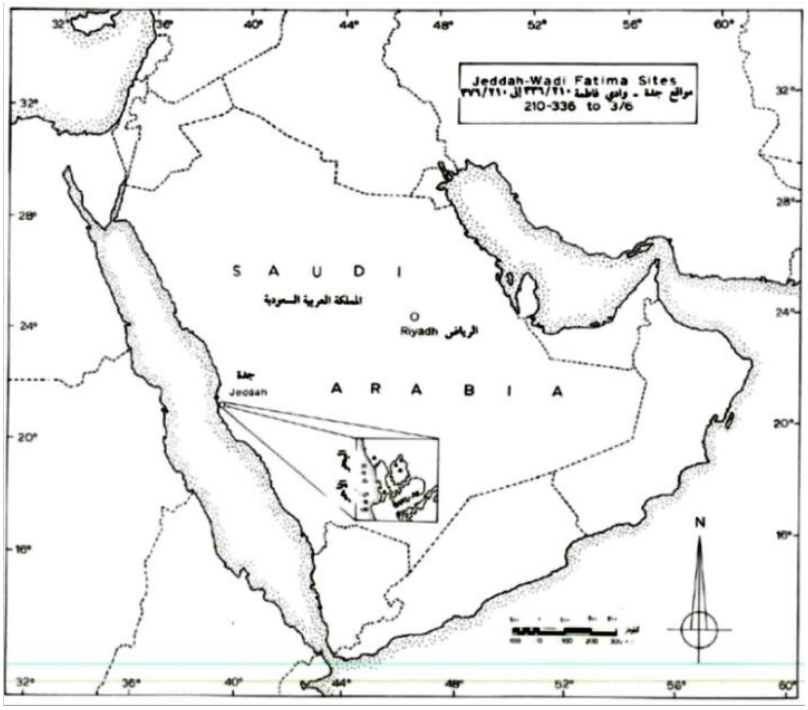

الخارطة (2): مواقع وادي فاطمة[1]

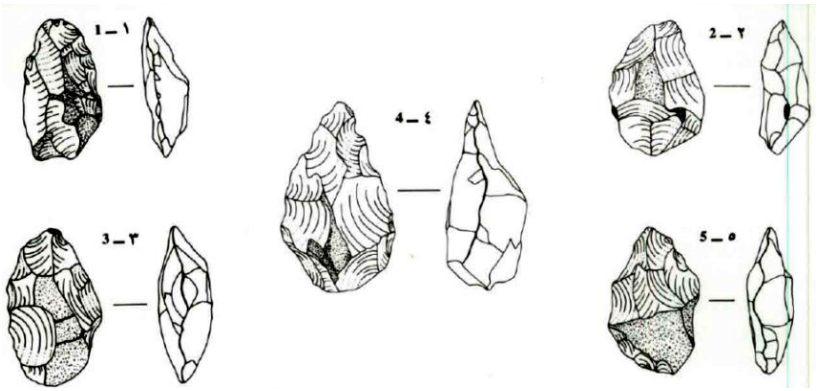

الشكل (4): فؤوس يدوية من مواقع وادي فاطمة[1].

[1]- Whalen. N: 1988, P: 70.

تتشابه مواصفات هذا النوع من الفؤوس اليدوية في مواقع شبه الجزيرة العربية من الناحية النمطية مع مواصفات الفؤوس اليدوية الطويلة والمدببة التي سادت في الإقليم الداخلي من بلاد الشام خلال الطور الآشولي الأوسط، وانتشرت في مواقع عدّة في بلاد الشام مثل موقع شيخ محمد، وجب جنين2، واللطامنة، ويبرود، وموقع سمرا، ويسمى محليًا بنموذج اللطامنة، وتم تأريخ الطور الآشولي الأوسط في موقع الميرا في حوض الكوم بالطريقة المغناطيسية القديمة (Paléomagnétisme) إلى نحو 700.000 ألف سنة[2].

هذا ويعدُّ الطور الآشولي الأوسط من أغنى أطوار الثقافة الآشولية في بلاد الشام، فإلى جانب نموذج اللطامنة سابق الذكر كان نموذج الفؤوس اليدوية البيضاوية الشكل والعريضة التي سادت في مواقع المنطقة الساحلية في بلاد الشام، مثل رأس بيروت، والبترون، وبير زين وخلاله.[3] كما أعطى هذا الطور الثقافة التياسية التي ظهرت إلى جانب الثقافة الآشولية في بلاد الشام، وعثر عليها في مواقع يبرود الملجأ الرابع في يبرود، وموقع أم قطفة في فلسطين (G1,G2,F,E3)، وموقع الطابون السوية G[4]. كما أنَّ موقع جسر بنات يعقوب الواقع في بداية مرتفعات الجولان جنوب سورية انفرد بالعثور على أدوات ذات طراز أفريقي ممثلة بالقواطع Choppers المصنوعة، وفق نموذج Kombewa والفؤوس اليدوية المصنوعة من حجر البازلت، وتؤرخ إلى بداية الطور الآشولي الأوسط[5]

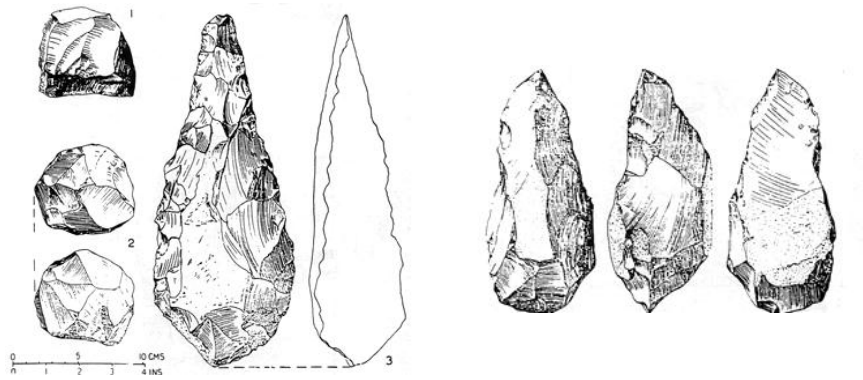

الشكل (5): أداوت حجرية رمحية الشكل متطاولة ومدببة من موقع اللطامنة[6].

[1]- Whalen. N: 1988, P: 70.

[2]- Boëda; et al: 2004.

[3]- Bar- Yosef: 1999, P: 225.

[4]- محيسن، سلطان: 1989، ص: 79.

[5]- Goren. I; et all: 2002, P: 171-172.

[6]– محيسن، سلطان: 2003، ص: 392.

لم يلحظ هذا الغنى في مواقع شبه الجزيرة العربية التي اقتصرت على نموذج واحد من الفؤوس اليدوية الذي يتشابه مع نموذج اللطامنة نمطيًا وتقنيًا، وبذلك تكون المنطقة الممتدة من الإقليم الداخلي لبلاد الشام إلى جنوب شبه الجزيرة العربية ممثلة بمواقع اليمن وعمان مرورًا بمواقع الدوادمي ووادي فاطمة قد شهدت نوعًا واحدًا من الفؤوس اليدوية، وهو النموذج المتطاول والمدبب الذي تم تأريخه في موقع الميرا في الكوم على 700 ألف سنة، وبذلك يمكن اقتراح تأريخ لمواقع شبه الجزيرة العربية التي تعود إلى هذا الطور بنحو 700 ألف سنة قبل الآن بناء على نمطية تصنيع الفؤوس اليدوية.

3 – الطور الآشولي الحديث:

تنتشر مواقع هذا الطور بمناطق واسعة من العالم التي انتشرت فيها الثقافة الآشولية، شكلت الفؤوس اليدوية في هذا الطور الأداة الحجرية الرئيسة أمكن من خلالها تلمس صناعة هذا العصر، فإذا كان هناك تباين في الطور الآشولي الأوسط سابق الذكر في أشكال الفؤوس اليدوية فإنَّه ساد في هذا الطور نوع واحد من الفؤوس اليدوية ذات الشكل البيضاوي والقلبي، مَثَّلَ تقليدًا حضاريًا غطى أغلب مواقع هذا الطور، مع زيادة في الأدوات الحجرية التي صُنِّعَت بالتقنية اللفلوازية.[1] عثر على هذا الطور في مواقع الدوادمي فقط إذ عثر على فؤوس يدوية ذات شكل بيضوي ولوزي، وكانت صغيرة الحجم إذا ما قورنت بالفؤوس اليدوية التي نسبت إلى كل من الطور الآشولي القديم والأوسط الثقافة الآشولية، إذ خضعت هذه الفؤوس إلى تشذيب دقيق على وجهي الأداة غطى كامل جسم الأداة، وتتسم بحافات مستقيمة، وكان حجم الشظايا المنزوعة في أثناء عملية التصنيع صغيرًا؛ ممَّا يعني استخدام المطرقة اللينة (المصنوعة من الخشب أو قرون الوعول) في عملية التصنيع.[2] الصورة (2).

الصورة (2): فأس يدوي لوزي الشكل الموقع68/206.

[1]- Hours. F: 1981, P: 173.

[2] – دياب، أحمد: 2005، ص: 196.

ولابدَّ من الإشارة هنا إلى ثنائيات الأوجه التي عثر عليها كابلCabel في قطر التي أثارت كثيرًا من النقاش عن وجود الثقافة الآشولية في قطر من عدمه؛ خاصةً في ظل غياب أدوات هذا العصر في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية الذي يضم كلًا من الكويت والبحرين والإمارات فضلًا عن قطر الصورة رقم 4، وقد نفى جاك تكسييه J.Tixier وجود الطور الآشولي الحديث في قطر والساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وأرجع تكسييه بناء على العمليات المخبرية ثنائيات الأوجه التي عثر عليها في الخور إلى ما قبل الألف السادس ق.م وقد يكون مرد هذا إلى عدم استقرار مياه الخليج عند حدود معينة في المدة ما بين 70000 و17000 حيث لم تأخذ تدفقات المياه في الخليج العربي سيرورة واحدة، بل حصلت سلسلة من التدفقات السريعة المفصولة بمراحل هادئة. ممَّا جعل السكن في هذه المنطقة تكتنفه صعوبات جمة، ويفسر عدم العثور على مواقع تعود إلى الثقافة الآشولية[1].

الصورة (3): ثنائية أوجه مدببة من موقع الخور/قطر[2]

تنتشر مواقع الطور الآشولي الحديث في أرجاء بلاد الشام كلّها، وتعدُّ مواقعة الأكثر وجودًا خلال الثقافة الآشولية، إذ عثر عليه في مواقع يبرود والندوية عين عسكر، والبلعاس، ومعلولا في سوريا، والطابون، وأم قطفة في فلسطين، وعدلون في لبنان. تتميز الفؤوس اليدوية في هذا الطور بالشكل البيضوي واللوزي والقلبي الشكل، كما ظهرت أدوات جديدة وخفيفة، وهي المقاحف والمكاشط Racloire & Qrattoire، كما تميز هذا الطور بقلة عدد القواطع، Chopper وزيادة الأدوات الحجرية التي قُطِّعَت بالتقنية اللفلوازية[3]. كما أن الاتجاه التقني العام في تصنيع الأدوات الحجرية خلال هذا العصر هو الميل نحو استخدام المطرقة اللينة في تصنيع الأدوات الحجرية.[4]

[1]– دانيال ت بوتس: 2003، ص: 66–71.

[2]– عبد النعيم، محمد: ص: 74

[3]– Hours. F: 1981, P: 173 .

[4]- O. Bar. Yosef : 1994, P: 247.

ويعدُّ موقع الندوية الواقع في حوض الكوم في البادية السورية من أغنى مواقع هذا الطور في منطقة بلاد الشام، وهو عبارة عن تراكمات من الطمي يصل عمقها إلى أكثر من25 مترًا، تغطيها طبقات من الرمل بالقرب من بئر ارتوازي، أعطى هذا الموقع مكتشفات تغطي نحو 600 ألف سنة تعود إلى أطوار مختلفة من عصور ما قبل التاريخ[1]، وصل عدد الطبقات الأثرية العائدة لهذا الطور إلى نحو 24 طبقة أثرية، أمكن تتبع ستة نماذج فرعية للفؤوس اليدوية خلال هذا الطور في هذا الموقع، أقدمها السحنة E التي تؤرخ على 500 ألف سنة تقريبًا، تليها السحنة D التي تؤرخ على 450 ألف سنة، تلتها السحنة C، ثم السحنة B، تليها السحنة A، وقد أعطت طبقات هذا الطور عشرات الآلاف من الأدوات الحجرية، وكانت الفؤوس اليدوية [بشكل عام] ذات شكل بيضوي أو لوزي مع عدد كبير من الشظايا، كما لُحِظَ وجود الأدوات التي صُنِعَتْ بالتقنية اللوفالوازية.[2]

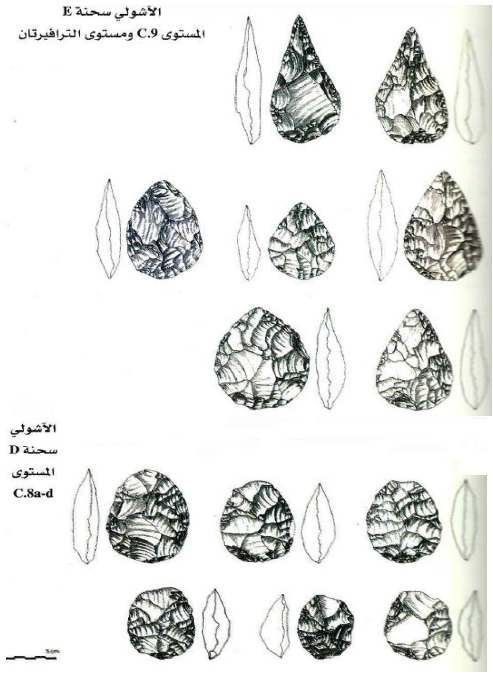

شكل (6): نماذج من سحنات الطور الآشولي الأعلى في موقع الندوية[3].

[1]- O. Bar. Yosef: 1994, P: 247.

[2]- Jean-Marie, LE Tensorer: 1996, P: 46

[3]– لوتونسورير، جان ماري؛ و محيسن سلطان: 2005، ص: 61.

ولابدَّ من الإشارة هنا إلى أن الطور الآشولي الحديث هو آخر أطوار الثقافة الآشولية المعروفة في شبه الجزيرة العربية حتى الآن، إذ لم تتم الإشارة إلى وجود كل من الطور الآشولي الحديث المتطور الذي يتميز بفؤوس يدوية متوسطة الحجم ودقيقة الصنع لوزية الشكل أو بيضوية، وهي أكثر تطورًا من الفؤوس اليدوية في الطور الآشولي الحديث، وأقل تطورًا من الآشولي النهائي، كما عثر في هذا الطور على السواطير، في حين تراجعت الأدوات الثقيلة وعثر عليه في بلاد الشام بمواقع هذا الطور في القرماشي السوية Ib، وموقع أرض حمد على نهر الأبرش في طرطوس، مع استخدام التقنية اللفلوازية في موقع أرض حمد[1]. لم يعثر على هذا الطور في مواقع شبه الجزيرة العربية، وقد يكون مرد ذلك إلى أن تمييز أدوات هذا الطور عن الطور الآشولي الحديث تحتاج إلى كثير من الدقة، ويكتنف العثور عليها شيء من الصعوبة في المواقع السطحية التي تخلو من طبقات أثرية متسلسلة.

كما يغيب عن مواقع شبه الجزيرة العربية الفؤوس اليدوية اللوزية والصغيرة الحجم، والمدببة، التي لا يتجاوز طولها بين 5–6سم التي تمثل الآشولي النهائي في مواقع بلاد الشام التي عثر عليها في مواقع مواقع مشيرفة الساموك على نهر الكبير الشمالي، وطاحونة سمعان على العاصي، وموقع قدير 23، وموقع الندوية1 في الكوم وسط سورية[2].

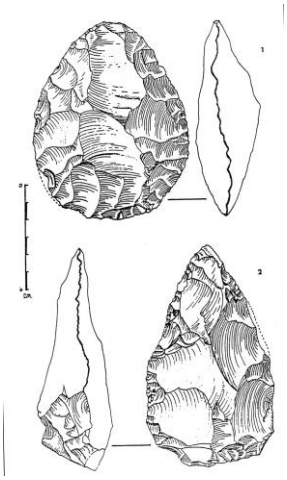

الشكل (7): فؤوس يدوية من القرماشي[3].

[1]- محيسن، سلطان: 1983، ص: 117–120.

[2]– Muhesen. S: 1990, P: 58.

[3]– محيسن، سلطان: 1983، ص: 115.

الخاتمة:

تشكل مواقع شبه الجزيرة العربية أولى المناطق التي اتجه إليها الإنسان في أثناء خروجه من أفريقيا بموجات الهجرة المتتابعة، ممَّا يجعل من مواقعها (نظريًا) الأقدم والأغنى من حيث المكتشفات الأثرية من مواقع بلاد الشام، لكن من خلال عرض أطوار الثقافة الآشولية في شبه الجزيرة العربية يتبين لنا أنَّ هناك غيابًا للتسلسل الواضح لأطوار الثقافة الآشولية فيها مع انعدام أي إشارة، حتى الآن، إلى الطور الآشولي الحديث المتطور، والطور الآشولي النهائي، كما تغيب عمليات تأريخ لكل طور من أطوار الثقافة الآشولية. مع العلم أن التسلسل الزمني لأطوار الثقافة الآشولية يكاد يكون مكتملًا في أغلب مناطق بلاد الشام، إذ أغنت الاكتشافات الأثرية كثيرًا من المعلومات عن تفاصيل كل طور من أطوار الثقافة الآشولية، وغيرها من مراحل عصور ما قبل التاريخ.

إن أغلب المواقع التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربية كانت مواقع سطحية، وجاء تعرّفها نتيجة مسوحات أثرية، وفي مناطق جغرافية متباعدة، وليس عن طريق تنقيبات أثرية منهجية تميط اللثام عن طبقات أثرية متسلسلة يمكن الاعتماد عليها في أي عملية تأريخ يمكن القيام بها في هذه المواقع. لذلك فإنَّ عمليات التأريخ التي جرت للكلس المتحجر على الأدوات الحجرية في مواقع الدوادمي ووادي فاطمة لا تشير إلى التأريخ الحقيقي للأداة الحجرية لأنَّ هذا الكلس تشكل على الأداة بعد وقت طويل من تصنيعها نتيجة تقلب الظروف الجوية، وعليه فإنَّ المقاربة بين الصفات النمطية والتقنية لتصنيع الأدوات الحجرية يمكن التعويل عليها [إلى حد كبير] في تعرّف التأريخ لهذه الأدوات، ولاسيَّما أنَّه لا يوجد أي حاجز جغرافي بين مواقع شبه الجزيرة العربية ومواقع بلاد الشام.

في ظل هذه الإشارات سيكون لزامًا دراسة مواقع محددة دراسة وافية حتى نستطيع تلمس تتابع طبقاتها، وإجراء عمليات تأريخ دقيقة لها، والانطلاق منها لدراسة أكثر تفصيلًا للثقافة الآشولية وغيرها من ثقافات عصور ما قبل التاريخ في مواقع شبه الجزيرة العربية.

المراجع العربية والأجنبية:

المراجع العربية:

1. أبحاث قام بها مجموعة من علماء الآثار الدانماكيين بين 1956–1965، نقلها إلى العربية: د. درويش مصطفى الفار، الدوحة، 1996.

2. بوتس، دانيال: الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة: إبراهيم خوري، المجمع الثقافي أبو ظبي، 2003.

3. بياتريكس ميدان، رينيس: عصور ما قبل التاريخ في مصر من المصريين الأوائل إلى الفراعنة الأوائل، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

4. دياب، أحمد: آسية الغربية في العصر الحجري القديم "دراسة متخصصة في الأدوات الحجرية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2005.

5. عبد النعيم، محمد: آثار ماقبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبد الرحيم محمد خير، الرياض، 1995.

6. لوتونسورير، جون ماري؛ ومحيسن سلطان: الإنسان الأول في الصحراء السورية، ترجمة: أمجد القاضي، دمشق، 2005.

7. محيسن، سلطان: بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ "الصيادون الأوائل" الأبجدية للنشر، دمشق، 1989.

8. محيسن، سلطان: عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق، دمشق، 2003–2004.

9. المحيسن، مجاهد: الثقافة الآشولية في الأردن، مجلة أبحاث اليرموك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد(4)، 1993.

10. يوسف، أمين: العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية"، أدوماتو، العدد(8)، 2003.

المراجع الأجنبية:

1- Amirkhanov. H: Research on Palaeolithic and Neolithic of Hadramaut and Mahra. Arabian Archaelogy and Epigraphy5, 1994.

2- Bar. Y: Prehistory of the Levant. Anthropolgie 9, 1980.

3- Bar. Y: The Lower Palaeolithic of the Near East, Journal of World Prehistory, Vol (8), No(3), 1994.

4- Bar. Y: Lower Paleolithic Sites in South-Western Asia – Evidence for out of Africa Movments . Anthropologie 37/1, 1999.

5- Boëda et al: Le Site Acheuleen d'El Meirah. Syrie. IN; "From the River to The Sea" the Palaeolithic and the Neolithic on the Euphrates and in the Northern Levant .Aurench .Le Mier. Sanlavill(eds). Studies in Honour of Lorrain Copeland .B.A.R. 1263, 2004.

6- Donatella. U. S: New prehistoric Sites Along the Omani Coast from Ras Al Aadd to Ras al Jins. Arabian Archaeology and Epigraphy. Vol(11), No(1), 2000.

7- Goren, Inbar et all: The Acheulian Site of Gesher Benot Ya'aqove. The Wood Assemblage. Paleorient, Vol(29), No(2003), 2002.

8- Hours. F: Le Paleolithique Inferieur de La Syrie et du Liban Le Point de la Question En 1980. IN: Sanlavill. P, Couvvin. J. (eds) Prehistoire du levant .C. N. R. S, Paris, 1981.

9- Hours. F; Copeland: La Sequence Acheuleenne du Nahr el Kebir-Region Septentrionale du littoral Syrien, Paleorient, Vol(4), L1978.

10- Jean-Mari. Le. Tensorer: Les Cultures Paleolithiques de la Steppe Syrienne, L'exemple d'el kowm. Les Annales Archeologiques Arabes Syriennes. vol(42), e 1996.

11- Juris. Z; Norman. W: Comprehensive Archaeological Survey Program; Atlal. Vol(4), 1980.

12- Juris. Z; et all: The Comprhesine Archaeological Survey Porgramm, The second Preliminary on the southwestern Province. Atlal. Vol(5), 1981.

13 - Inizan. M. L: Premier resultants des Fouilles Prehistoriques de La Region de Khor.

أعمال البعثة الفرنسية في قطر، مديرية السياحة والأثار، وزارة الأعلام، قطر، 1980.

14- Muhesen. S: The Transitional Lower-Middle Paleolithic Industries in Syria, IN Akazawa, T; et all; The Evolution and Dispersal of Modern Humans in Asia, 1990.

15- Whalen. N: Excavation of Acheulean Sites near Saffaqah ,Saudi Arabia, 1983; Atlal, 1984.

16- Whalen. N; et all: A Lower Pleistocene Site Near Shuwayhitiyah in Northern Saudi Arabia Atlal(10), 1986.

17- Whalen. N; et all: Early Pleistocene Migrations into Soudi Arabia. Atlal(12), 1989.

18- Whalen. N; Schatte. K: Pleistocene Sites in Southern Yemen. Arabian Archaeology and Epigraphy. Vol(8), No(1), 1997.

19- Whalen. N; and Morgan. Z: The Lower Palaeolithic in Southwestern Oman; Adumatu, vol(5), 2002.

20- Zarins .J; et all: Comrehensive Archaeological Survey Program Preliminary Report on The Central and Southwestern Provinces Survey: 1979; Atlal(4), 1980.